الخالقُ والشّاعرُ، يقطعان الطّريق صوب اللّيل، باتّجاه بارٍ رخيص ربّما، إذْ لا أحد منهما يملك ثمن تلك المتع الأرضيّة النّاعمة. لم يستطع الشّاعر الصّبر، كان عليه ـ منذ نصف ساعة ـ أن يقول:

ـ ماذا كسبتَ من هذه المدينة يا كاووش؟ لاشكَّ أنَّ ثمن «الأحمر» الذي أغرقتَ به الشّوارعَ والممرّاتِ يزيد عشر مرّات عمّا تملكه في عام واحد.

راح يدخّن. لم يلتفت إلى كلام صاحبه؛ فهو يدري أنَّ المستقبل إنّما هو شيء آخر غير ما نرى اليوم، وكان عليه أن ينتظر بضع سنوات حتّى يفهم هذا الشّاعر كيف يُبنىٰ هذا النّوع من المدن الخرافيّة العنيدة.

في البار كان عليهما بيعُ خاتم فضّيّ ليشربا. لعلَّ أغرب ما جرى في تلك السّاعة، هو أنَّ صاحب البار لم يأخذ الخاتم، بل قدّم الشّراب مجّاناً في صحّة أجمل المدن التي رأى.. ولم يقل صاحب البار سوى عشرين كلمة:

ـ عندما كنتُ في عمرك يا كاووش، كنتُ أحلم في رسم مدينة كهذه، وها أنتَ أوّل من حقّق ذاك الحلمَ الطّافر القديم!

التفت كاووش إلى صديقه الشّاعر، وايقنَ ـ مرّة ثانية ـ أنَّ المستقبل إنّما هو شيء آخر غير ما نراه اليوم... وراحا معاً يحتسيان فكرة حلم جديد مازال على قيد الطّفولة والجنون. ولا يدري كاووش ـ حتّى اليوم ـ من الذي راح يردّد خلفهما بصوت سكران:

ـ يا كاووش، يا كاووش، ألا تدري أنَّ الأشجار ذبلت، لأنَّك لم ترسمها؟؟(**)

مدينة بلا بشر، غادرها النّهارُ والشّعراءُ والجميلاتُ والمطر، ولم يبق فيها سوى كاووش يفتّش بين اللّيل والرّعد والغيوم عن كمّيّة خساراته... ومع ذلك فقد استطاع أن يبتسم!

بغداد

(*) ماهود أحمد: فنّان عراقي مهمّ.

(**) السطر هكذا، مقطع من قصيدة للشّاعر حميد قاسم.

٤ قصائد

فاروق يوسف

١ ـ الملكة

من عرشها تهبط الآن
ـ سمّيتني ملكهْ
لفظةٌ ليس إلاّ، أرىٰ أنّنا نتحرّك مبتعدين
تلالٌ، قرىً، وجيوش تهيّئ أسلحة القتلِ
ما بيننا الموت يحدث
هل تقع المعركهْ؟
ونحن اكتشفنا الحرير الّذي غلّف الرّوح
نحن اهتدينا إلى بقعةٍ
سوف تخفي مسرّاتنا
رجلاً يلتقي وسط أحزانه امرأةً منهكهْ
سوف أعلن أنّي مضيتْ
أنَّ لي عاشقاً
مدَّ أهدابه كالبساط
وكانت أناشيده لي كبيتْ
قبل أن تسقط المملكهْ

٢ ـ الطّائرة

ما الّذي تبحث عنه الطّائرهْ؟
عشبةً خضراء
أم رفّ طيورٍ نافرهْ
كوخ فلاّح غفا
أم صخرة ملساء
فوق الماء
أمست مبحرهْ
ما الّذي تبحث عنه اليوم هذي الطّائرهْ
بعد أن أهدت لنا بالأمس موتاً
ما الّذي يجعلها تطلق نيراناً علينا
من سماء الآخرهْ؟

٣ ـ الموت

حين أطلّ الموت
بعينين مغلقتين
نظرتُ إليه فلم يتقدّمْ
وظلّ ينقّل عينيه بين الحضور
الّذين بكوا حين مرّ وسلّمْ
وكانوا حيارىٰ
أيمكن أن يطأ الموت داراً
ويتركها دون مأتمْ؟

٤ ـ الغريق

موجة عابسهْ
سلّمتني لأخرىٰ
دون أن ينتهي الموجُ
أو تظهر اليابسهْ

بغداد